جامعة كربلاء
كلية العلوم الإسلامية
دراسات اسلامية معاصرة / العدد 45 / أيلول 2025

تأكيدات الامام علي بن ابي طالب عليه السلام على اسباب النزول ودورها في تصحيح المسار التاريخي لعلوم القرآن

Ali ibn Abi Talib's (peace be upon him) confirmations of the reasons for revelation help correct the historical path of the sciences of the Qur'an

م.د علي شاكر سلمان
Dr. Ali Shaker Salman

الكلية التربوية المفتوحة
Open College of Education

الكلمات المفتاحية: التأكيدات، العلوية، النزول، النص، الاسباب، الخطب

Keywords: confirmations, ascension, descent, text, reasons, sermons, Commander of the Faithful

الملخص:

تقوم فكرة البحث على تتبع التأكيدات الواردة من الامام امير المؤمنين عليه السلام فيما يتعلق بأسباب نزول النص القرآني وهنا تثار جملة من التساؤلات منها، لماذا هذا التأكيد على اسباب النزول؟ لاسيما انه صادر عن شخصية ذات ثقل ديني في الوسط القرآني وما هو الدور الذي يجني من دراسة مثل هذه التأكيدات؟ وهل ان هذه التأكيدات صدرت في اثر واحد ام آثار متعددة؟ وما هو الدور الذي حققته تلك التأكيدات العلوية؟ وهنا تكمن ثائرة البحث التي سنقف من خلالها على مغزى تأكيدات الامام في هذا العلم.

Abstract:

The idea of the research is based on tracking the confirmations received from Imam, Commander of the Faithful, peace be upon him, regarding the reasons for the revelation of the Qur'anic text. Here a number of questions are raised, including: Why this emphasis on the reasons for the revelation? Especially since it came from a figure with religious authority in the Qur'anic community. What role can be gained from studying such assertions? Are these confirmations issued in one narration or multiple narrations? What role did these Alawite affirmations play? Here lies the excitement of the research, through which we will understand the significance of the Imam's assertions in this science.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وافضل الصلاة واتم التسليم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا ونبينا محمد وال بيته الطيبين الطاهرين، اما بعد:

لاشك أنّ جميع المسلمين متفقون على أنّ الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم هو المبين الاول لكافة العلوم الواردة في النص القرآني وهذا بحكم وظيفته الالهية، ولاشك ايضاً ان النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم لم يترك الامة هملاً بل ترك لهم ما يحميهم من الوقوع بالضلال شريطة التمسك به وهو القرآن الكريم والعترة الطاهرة وعلى رأس العترة الطاهرة يأتي دور الامام علي بن ابي طالب عليه السلام مكملاً للوظيفة النبوية وهي بيان ما التبس عليهم من كتاب الله وما فيه من علوم ومعارف واحكام كونه وصياً لخاتم الانبياء.

وهذا يجعل التأكيدات التي صدرت منه بشأن الاهتمام بعلم أسباب النزول هي بمثابة تأكيدات نبوية، فقد اهتم امير المؤمنين عليه السلام بهذا العلم ايما اهتمام وذلك لما له من الفائدة الكبيرة والقيمة العالية بين علوم القرآن الكريم، فراح عليه السلام يؤكد على اهمية هذا العلم في مناسبات كثيرة تارةً رادّاً على المتجاهلين له، وثانية حاثاً على العودة اليه والتحذير من تجاهله عبر تأكيداته المتواصلة، وثالثة مبيناً لأهميته لكونه القرينة الاولى لمعرفة الظروف المحيطة بالنص القرآني والمساعِدة على فهمه فمهماً صحيحاً لتوثيق حقائقه ومناسباته، وهذا ما يجعل تلك التأكيدات بمثابة السياج الذي يحمي مسار علوم القرآن الكريم من ما مني به من تغير في تلك العلوم

ان الوقوف على التأكيدات الصادرة بحق علم أسباب النزول يأخذ الباحث الى حقيقة واحدة هي عمق الدراية العلوية بمعارف الكتاب العزيز وعلومه وتنوع تلك المعارف والعلوم وتعددها وقوة أسانيدها، مما يجعل العلم بأسباب النزول عند الامام عليه السلام هو علم لا غنى عنه في باب المعارف القرآنية خصوصاً وعلم التفسير عموماً.

التمهيد: تعريف أسباب النزول وماهيتها

أولاً: تعريف سبب النزول في اللغة والاصطلاح

1. أسباب النزول لغةً

اسباب النزول هو مصطلح مركب للوقوف على حقيقته لابد من النظر الى مفرداته كل على حدة وعلى النحو الاتي:

أسباب في اللغة جمعٌ مفرده "سبب" وهو كل ما يتوصل به الى غيره كالحبل الذي يتوصل الى النخل او الى الماء وهو يعطي معنى الوسيلة، وقيل هو الواسطة أو الذريعة التي يتوصل بها الى كل شيء[1]، وقولك مالي إليه سبب أي طريق[2]، وعليه فإن السبب هنا يعطي معنى الطريقة او الذريعة او العلة.

اما **النزول** لغة: فهو الحط[3]، او الهبوط اي هبط به جبرائيل من السماء وحل في الارض[4]، وهنا يُفهم ان المعنى اللغوي للنزول يدور في فلكين الاول هو الحط او الهبوط من مكان مرتفع الى مكان ادنى منه وهو اقرب الى مراد البحث والثاني هو الحلول في المكان.

وعليه يمكن القول في تعريف سبب النزول مركباً على مستوى اللغة انه يعطي معنى الطريق او الذريعة او العلة التي اوجبت هبوط الشيء من مكان مرتفع الى مكان أدنى منه والحلول فيه.

2. أسباب النزول اصطلاحاً:

تعرف اسباب النزول على المستوى الاصطلاحي بتعريفات عدة اهمها "هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه ايام وقوعه"[5]،وهذا التعريف غير تام لكونه قد حصر سبب النزول بأيام وقوع الحادثة وهو في الحقيقة قد يتعدى هذا التاريخ ناهيك عن قصره على الحكم، وتعرف ايضاً بأنها " أمور وقعت في عصر الوحي واقتضت نزول الوحي بشأنها"[6]، وهذا التعريف ايضا فيه جانب من الافتقار فقد حصرها ايضا في زمن الوحي فقط و قد يتعدى ذلك زمن الوحي، كما في الآيات النازلة في زمن الوحي ولكن مصداقها اصحاب الجمل كما بينها الامام امير المؤمنين وكما سياتي، وعليه يكون التعريف الادق " هو السؤال أو الاستبيان أو الحادثة أو الحكاية، التي نزلت بعض آيات القرآن من أجلها"[7]، وبهذا يكون سبب النزول تارةً بسبب مباشر واخرى غير مباشر، ومرة يكون في زمن الوحي واخرى يخبر عن اشياء متأخرة عن زمن الوحي.

ثانيا: ماهية تأكيدات الامام امير المؤمنين عليه السلام على اسباب النزول

إن المتأمل في التأكيدات التي صدرت من الامام علي عليه السلام في الاهتمام بعلم أسباب النزول يجد أنه جاء وفق اتجاهين، الأول: هو الوقوف بوجه ظاهرة انتشرت إبان وفاة النبي صلى الله عليه وآله وهي تجاهل عملية الرجوع الى أسباب النزول في بيان معاني الآيات والمفردات القرآنية بقصد وبغير قصد، لأن ذلك . اي الرجوع الى أسباب النزول . يكشف حقائق لا تريد الطبقة الحاكمة كشفها منها أحقية الإمام أمير المؤمنين بالخلافة وهذا ما أدى الى تجاهلها

عمدا، والأمر الآخر أن وفاة الرسول ﷺتركت أثرا كبيرا في نفوس المسلمين مما أدى الى بعض الإرباك على مستوى العلوم القرآنية لان النبي كان المفسر الاول للقرآن الكريم، وهنا جاء دور الامام عليه السلامفي التأكيد والحث على الرجوع الى علم أسباب النزول كعلم أصيل من علوم الكتاب الكريم والوقوف بوجه من أنكره واظهاره للعلن للاتكاء عليه في بيان معاني الكتاب العزيز ومفاهيمه وذلك يظهر واضحاً من كلمات أمير المؤمنين عليه السلامالتي أنكر عليهم تغاضيهم عن هذا العلم لاسيما في هذه المرحلة الحرجة كونها مرحلة تأسيسية من عمر الإسلام، وعدم تعرّضهم لها في تعاطيهم مع القرآن وظروف الإسلام قد يؤدي الى اندثار الآثار التي تشيد بهذا العلم مما قد يخسر المسلون أحد القرائن التي لا غنى عنها لفهم النص القرآني لذا وقف عليه السلامبوجه هذا التنكّر للأسباب، وهذا ما يمكن لمسه من خلال متابعة كلماته عليه السلامفي هذا المضمار[8].

والاتجاه الثاني: هو بيان أمير المؤمنين عليه السلاملأهمية هذا العلم وذلك عبر بيانه لسبب نزول جملة من الآيات الكريمة كمنهج عملي يسير عليه الباحثون في معاني الكتاب الكريم ويدركون القيمة والأهمية لهذا العلم في سبر أغوار النص القرآني، لذا لم يكتف بالإشارة إلى ذاك التنكّر والتغاضي عن أسباب النزول، بل أسهم في سيرها التصاعديّ، فراح عليه السلامبثّ بعض الأسباب بحسب مقتضيات المرحلة وبما يلائم الظروف الموضوعيّة لتلك الفترة التاريخيّة الحسّاسة،في خطوة تأسيسية لبيان أهمية هذا العلم ودوره الفعال في فهم النص القرآني[9]، وعليه سيجري الكلام عن علم أسباب النزول في ضوء هذين الاتجاهين.

المبحث الاول: مواقف التأكيد على اسباب النزول عند الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

المطلب الاول:التأكيد على اسباب النزول عبر المنهج الاحتجاجي للامام أمير المؤمنين عليه السلام

لقد حاول الإمام أمير المؤمنين عليه السلامأن يظهر تأكيداته على أسباب النزول بأساليب وطرق عدة منها: الاحتجاج على المتغافلين والمنكرين لهذا العلم، لذا فإن أول ما يطالعنا في هذا المجال هو احتجاجه عليه السلام المتكرّر بأسباب النزول، وهذا يُفهم من اللهجة والعبارات والصيغة التي وظفها الإمام عليه السلامفي ذلك، فمثلاً في بيان قوله تعالى:﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾[10]، وظّف الإمام عليه السلامعبارات معينة للاحتجاج تتجلى بوضوح عبر بيان سبب نزول هذه الآية الوارد في رواية الأصبغ بن نباتة في نقله لقول أمير المؤمنين عليه السلام: "ويل لهم، والله أنا الذي أنزل الله فيّ: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ فإنّا كنّا عند رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فيخبرنا بالوحي، فأعيه أنا ومن يعيه، فإذا خرجنا قالوا: ما ذا قال آنفا؟"[11]، وعند الوقوف على عبارات أمير المؤمنين عليه السلامفي هذا الضمار نجد فيها احتجاجاً واستنكاراً واضحاً على من تغافل عن هذا العلم وأنكره ففي قوله عليه السلام وردت عبارة ويل لهم والويل كلمة شديدة يستفاد منها التهديد والوعيد والإنكار والاحتجاج على من أغفل هذا العلم يعززها القسم الذي جاء في عبارة الامام عليه السلام والله انما جاء تعبيرا عن التأكيد على انه سبب نزول لهذه الآية، ويفهم من تضافر العبارات العلوية مع القسم فيه تعريض بمن انكر وتغافل عن علم اسباب النزول.

ومن أهم موارد التأكيد عبر الاحتجاج بأسباب النزول في كلام الإمام عليه السلامهو تقريعه لمن سأله عن ما نزل فيه عليه السلام من القرآن وهو على المنبر فقيل أنّ رجلا سأله وهو على المنبر: "ما نزل فيك أنت؟ من القرآن" فأجابه الإمام عليه السلامنكراً عليه بعبارة تبين مدى تغافل هذا الرجل وإهماله للعلوم المبينة لكتاب الله تعالى بقوله عليه السلام"ما من

رجل من قريش الا ونزلت فيه آية أو آيتان" فقال رجلاً ممن تحته: فما نزل فيك أنت؟ فغضب عليه السلام ثم قال: "أما وانك لولم تسألني على رؤوس الاشهاد ما حدثتك ويحك هل تقرأ سورة هود؟!، ثمّ قرأ عليّ عليه السّلام ﴿**أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ**﴾ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على بيّنة، وأنا الشاهد منه"[12].

فالمتأمل في كلام الإمام عليه السلام يقف على عبارة إنكار وتقريع تشير الى مدى احتجاج الامام وامتعاضه من تجاهل بعض المسلمين لهذا العلم فكلمة "ويحك" وهي صيغة شديدة تدل على أن السائل قد وقع في بلية والامام يدعو له ليتخلص منها وفيها دلالة على القبح والتحسر[13]، فهي هنا جاءت لإظهار التوجع والتعجب في آن واحد وكلاهما جاءتا في مقام احتجاج الإمام عليه السلام على من تغاضى عن علم أسباب النزول، ناهيك عن حالة الغضب التي اعترت الإمام عليه السلام في أثناء اعراض أحد الجاهلين بهذا العلم وسؤاله المسيء عما نزل في الامام عليه السلام من القرآن فضلا عن تعريضه بالقوم بقوله ما من رجل من قريش الا نزلت فيه اية او ايتان، كل ذلك في اطار التأكيد على علم اسباب النزول عبر الاحتجاج به على من انكره.

ومن مواطن التأكيد عبر الاحتجاج على المنكرين التي وردت في كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام تعقيبه على قوله تعالى: ﴿**أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ**﴾[14]، فقد قال عليه السلام "... فهل فيكم أحد أنزل الله تعالى فيه ﴿ **أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ**﴾ إلى آخر ما اقتصّ الله تعالى من خبر المؤمنين غيري؟!، قالوا: اللهمّ لا"[15]، فصيغة التحدي والاحتجاج التي يعتمدها أمير المؤمنين عليه السلام في التأكيد على سبب نزول هذه الآية غنية عن البيان، فيبدو واضحا أنّه يخاطب من تغاضى عن مثلها عامداً، بل هو في مقام التحدي لهم في مسألة العلم بأسباب النزول وهذا مستفاد من جوابهم له بقولهم "اللهم لا" فلو كان فيهم أحد قد أنزل الله فيه مثل ما أنزل الله في الامام عليه السلام أو أعلم منه بأسباب النزول لم يجيبوا بالإيجاب.

من هنا يظهر أن تأكيد الامام عليه السلام إنما كان من شدة شفقته وتعجبه ممن أهمل هذا العلم في تفسير النص القرآني ومحاولة منه عليه السلام لتصحيح مسارهم وارجاعهم الى طريق الصواب في فهم النص القرآن واستجلاء معانيه عبر التركيز على علم أسباب النزول، لذا جاءت عبارات الإمام وكلماته تتناسب مع طبيعة الإنكار والحالة التي وصل اليها المنكرين فتارة تكون عباراته عبارات تعجب وتوجع وأخرى مشفقة ومقرعة لمن انكر وتغاضى عن علم أسباب النزول.

المطلب الثاني: تأكيد الامام علي عليه السلام على أسباب النزول عبر التعريض بالآخرين

لم يكتف الإمام علي عليه السلام بالتأكيد على علم أسباب النزول عبر الاحتجاج، بل راح يعرض ببعض الرجالات المنكرين من قريش تعريضاً مبرماً فقد وردت روايات عن أمير المؤمنين عليه السلام تجاه رجالات قريش من المنكرين، وكان هذا التعريض متّصلا بأسباب النزول، فهو يذكّر من غفل أو تغافل، بأسباب النزول وأعلامها مدحاً وذمّاً؛ ففي رواية عن عبد الله بن يحيى قال: "سمعت عليّا عليه السّلام وهو يقول ما من رجل من قريش إلّا وقد أنزلت فيه آية أو آيتان من كتاب الله..."[16]، وفي هذه الرواية اسلوب تعريضي واضح ببعض من شملهم سبب النزول وأن وقفة بسيطة في أسباب نزول النص القرآني تظهر أن سبب النزول قد لا يكون في إطار المدح دائماً وإنما في إطار الذم أحياناً فكثيرة هي الآيات التي كان سبب نزولها اشخاص من قريش نزلت فيهم معرضة ومقرعة

لانهم حاولوا التسلق الى مكانة أسمى مما هم عليه وكان الناس يجهلون حقيقة ذلك الأمر فحاول الإمام عليه السلام التنبيه والإرشاد الى ذلك عبر بيان أسباب النزول، بل حتى بعض المسلمين كانوا سبب في نزول آيات جاءت مقرعة ومعرضة فيهم كما هو حال حاطب بن أبي بلتعة وقصته المشهورة وكيف أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان شاهداً على نزول تلك الآيات وعنصراً فعالاً في السرية التي بعثها رسول الله صلى الله عليه وآله لحسم تلك القصة[17]، وحال الثلاثة الذين تخلفوا وتكاسلوا عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة تبوك[18]، وكيف تعامل معهم المسلمون حتى ندموا وغيرهم ممن كانوا سبباً في نزول الآيات كل ذلك جاء في مقام التعريض بهذه الشخصيات وبغية تعريفهم وتذكيرهم بمكانتهم الحقيقة.

وفي المقام ذاته أي استعمال سبب النزول للتعريض أيضا تأتي رواية عبّاد بن عبد الله الأسدي أنّه سمع عليّاً يقول مثل ذلك وهو على المنبر[19] وكذلك قوله المتقدّم:"فهل فيكم أحد أنزل الله تعالى فيه: **﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾** إلى آخر ما اقتصّ الله تعالى من خبر المؤمنين غيري؟، قالوا: اللهمّ لا"[20]، وفي هذه الرواية تنبيه وتعريض واضح وهو نوع من التهديد الخفيّ لبعض رجالات قريش ممّن ظهروا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، أمام الذين لم يتسنّ لهم الاطّلاع على خلفياتهم السابقة، فظهروا بحلل براقة وصور جذابة وسير طيبة غير التي يمكن أن تحكيها أسباب النزول، طمعاً في ارتقاء مناصب قياديّة ومكانة علية، فما كان من الإمام عليه السلام الا أن قام مبيناً أسباب النزول تنبيهاً لهم وتعريضاً بماضيهم حتّى لا يتنكّروه في هذه اللحظات الحسّاسة، وقد حثّ الناس على العودة إلى أسباب النزول المغيبة عنوة عن الساحة على ما يبدو لكشف مثل هذه الامور وارجاعها الى نصابها[21].

المطلب الثالث: تأكيد الامام علي عليه السلام على ضرورة العودة إلى الأسباب

إن الاكثار من التأمل في تراث أمير المؤمنين عليه السلام يكشف لنا حقيقة مهمة وهي وجود ظاهرة التكرار والتأكيد على ربط أسباب النزول بالقرآن عن طريق العودة اليها والعلم بها، وهذا ما جاء من سيد البلاغة في صيغة لا تخلو هي الأخرى من إشارات إلى أنّ هناك قطيعة حدثت بين القرآن وأسباب النزول في تلك الفترة، ولعل ذلك التأكيد جاء في كلامه عليه السلام عند ما حاول البعض التعريض به وأنّه لا يحسن كثيراً من القرآن، فما كان جوابه الا أن وقف مصرحا بأسبقيته بهذا العلم بقوله عليه السلام:"...والله ما من حرف نزل على محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم إلّا أنّي أعرف فيمن أنزل، وفي أيّ يوم، وفي أيّ موضع..."[22]، وهذا تأكيد من الإمام عليه السلام على العلم بأسباب النزول كونه أعلم الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يراعي وجود هذا العلم فكيف بعامة الناس إذاً عليهم بالعودة الى أسباب النزول في مراعاة فهم النص القرآني.

كما تكرر هذا التأكيد على العودة الى علم أسباب النزول في كثير من المواقف التي وجهت الى الامام وشرع في بيانها مؤكدا العودة الى أسباب النزول عبر ضرب المثل "ما نزلت آية إلّا وأنا علمت فيمن أنزلت، وأين نزلت، وعلى من نزلت، إنّ ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً طلقاً"[23]، وفي هذا الحديث نجد ان هناك حثاً واضحاً من الامام عليه السلام للمسلمين على الرجوع الى علم أسباب النزول وهذا يحقق الاغراض التي ارادها الامام وهي الوقوف على الحقائق القرآنية كما هي وذلك عبر مجموعة من الروايات ضمّتها كتب التفسير والحديث وغيرها[24]، وكلّ

ذلك يشير إلى الفتور الممنهج الذي حدث بين القرآن وأسباب نزوله، بل التغافل عنه احيانا، وهو ما حاول الإمام عليه السلام التنبيه عليه والوقوف بوجه من حاول تسويفه عبر حث الناس ولفت انظارهم الى هذا العلم، ويؤيد ذلك سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ * أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾[25]، اذ ورد في سبب نزوله أن النبي صلى الله عليه وآله قال لبعض أصحابه: " سلمّوا على عليٍّ بإمرة المؤمنين " فقال رجل من القوم: لا والله لا تجتمع النبوة والامامة في أهل بيت أبداً فانزل الله تعالى الآية[26]، وهنا نجد أن الرجوع الى سبب النزول قد بين الحقائق كماهي ولولا العودة الى سبب نزول تلك الآيات وغيرها لم نتمكن من معرفة هؤلاء الاشخاص ولتبوؤا مكانة سامية على أساس الصحبة من النبي صلى الله عليه وآله، وهنا تتجلى فائدة تأكيد الإمام عليه السلام على سبب نزول والتمسك به كقرينة أساسية في تفسير النص القرآني وتصحيح مساره التفسيري.

وهذا الأمر . أي العودة الى أسباب النزول لمعرفة الحقائق . يتكرر في الآية الكريمة ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ * وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[27]، والتي ترد رواية في بيان سبب نزولها انها في حق الامام علي عليه السلام فعن محمد بن العباس، عن عبد العزيز بن يحيى، عن محمد بن زكريا عن يحيى ابن عمير الحنفي، عن عمر بن قائد عن الكلبي عن أبي صالح. عن ابن عباس قال: بينما النبي صلى الله عليه وآله في نفر من أصحابه إذ قال: "الآن يدخل عليكم نظير عيسى بن مريم في أمتي فدخل أبو بكر، فقالوا: هو هذا؟ فقال: لا، فدخل عمر، فقالوا: هو هذا؟ فقال: لا، فدخل علي عليه السلام فقالوا: هو هذا؟ فقال: نعم، فقال قوم: لعبادة اللات والعزى خير من هذا، فأنزل الله تعالى: (ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون وقالوا أآلهتنا خير) الآية"[28]، ففي هذه الآية تأكيد واضح أن عدم الرجوع الى سبب النزول واهماله يشتمل على تحريف لمسار تفسير النص القرآني عبر إخفاء بعض الحقائق منها اخفاء فضائل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ومنها عدم إظهار اسماء المعارضين، مما حدا بالأمام عليه السلام الى التأكيد على العودة الى اسباب النزول لأنها تسهم في تصحيح المسار التاريخي لتفسير النص القرآني.

المبحث الثاني: نماذج من تأكيدات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على أسباب النزول

المطلب الأول: أسباب النزول في كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

لا يرتاب ذو مسكة بأن الامام علي عليه السلام خازن علوم الكتاب العزيز ومقدم على غيره في تفسيره وبيان ما خفي منه، كيف لا وهو كاتب وحي رسول الله صلى الله عليه وآله الأوحد الذي شهد التنزيل لحظة بلحظة وسمع صرخة الشيطان معبراً عن ذلك في خطبته القاصعة "... قَرَنَ اللَّهُ بِهِ صلى الله عليه وآله مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ وَمَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَماً وَيَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِهِ وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ (صلى الله عليه وآله) فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ فَقَالَ هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ وَلَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ"[29]، وقد حظي بإعداد رسول الله صلى الله عليه وآله لمهمة إكمال الرسالة بعده، لذا كان يختلي به رسول

الله ﷺ في اليوم والليلة ولم يفعل ذلك مع غيره، وكان عليه السلام يقتفي أثر الرسول ﷺ كاتباع الفصيل أثر أُمه حتى أصبح باب مدينة علم رسول الله ﷺ، لذا جاء البيان العلوي زاخراً بعلوم الكتاب العزيز التي منها علم أسباب النزول التي جاءت الروايات المستفيضة دالة على اهتمام الإمام عليه السلام بهذا العلم ففي رواية عن الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال: "والله ما نزلت آية إلّا وقد علمت فيما أُنزلت! وأين أُنزلت إنّ ربّي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤولاً"[30]، وقال عليه السلام: "والله ما نزلت آية في ليل أو نهار، ولا سهل ولا جبل ولا برٍّ ولا بحرٍ، إلّا وقد عرفت أي ساعةٍ نزلت وفي مَن نزلت"[31]، فهذه الكلمات الصادرة عن الإمام عليه السلام تبين مدى أهمية علم اسباب النزول ومكانته بين علوم الكتاب العزيز كما وتبين أثر الإمام عليه السلام في تأسيسه وانبثاق بداياته الأولى على يده الكريمة كعلم أساس لا يمكن إدراك سر الكتاب المكنون إلاعن تضافره مع غيره من العلوم، والبيان العلوي لعلم اسباب النزول وكيفية الرجوع اليه في تشخيص مصاديق كثير من الآيات الكريمة والشخصيات النازلة فيها بل ومعرفة الاحكام الشرعية في كثير من المواضع لم يعرف حداً معيناً فهذه المرة يظهر عبر تأكيده عليه السلام على هذا العلم في إطار سؤال طلحة عن المصحف العلوي وهل يمكن أن يظهره الامام عليه السلام وعندها نستفيد من جواب الامام عليه السلام في حضور أسباب النزول في كلماته كعلم من العلوم النبوية التي ورثها الإمام عليه السلام اذ يقول: "يا طلحة إن كل آية أنزلها الله جل وعلا على محمد ﷺ عندي بإملاء رسول الله وخط يدي، وتأويل كل آية أنزلها الله على محمد وكل حرام وحلال أو حد أو حكم أو شئ تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة مكتوب بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط يدي، حتى أرش الخدش"[32]، أي حتى دية الخدش، وهنا لابد من الالتفات الى الدقة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي يصرح بأنه عالمٌ في شأن كل آية من آيات الكتاب الكريم من حيث النزول وسببه واحكام القرآن وغيرها من العلوم الأخر، كيف لا وهو الشاهد الأول على نزول الوحي على رسول الله ﷺ.

حيث أولى الإمام علي عليه السلام، وهو القمّة الشمّاء بين العارفين بالقرآن وعلومه لسبب نزول القرآن الكريم من الأهميّة ما يجعله من العلوم التي لا غنى عنها في معرفة المراد الإلهي ففي رواية عن عباد بن عبد الله الاسدي قال: سمعت علياً عليه السلام على المنبر يقول:" ما من رجل من قريش الا ونزلت فيه آية أو آيتان " فقال رجلٌ ممن تحته: فما نزل فيك أنت؟ فغضب عليه السلام ثم قال: "أما وانك لولم تسألني على رؤوس الاشهاد ما حدثتك ويحك هل تقرأ سورة هود" ثم قرأ علي عليه السلام " **أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ**" رسول الله ﷺ على بينة وأنا الشاهد منه"[33]، وهنا شرع الامام علي عليه السلام في بيان المراد الالهي من كلامه مستفيدا ومؤكدا على سبب النزول بطريقة عملية وذلك عبر تأكيده على أهمية السبب في حديثه ثم جوابه للسائل ببيان ما نزل فيه عليه السلام من آيات موظفا سبب النزول في بيان مصداق الآية في تبيين أهمية علم أسباب النزول الذي غفل او تغافل عنه الكثير لأسباب لا تخفى.

ولم تقف نفحات العبق العلوي في إظهار العلم اللّدني الذي زَقهُ رسول الله ﷺ في وصيه وخازن علمه فكانت هي القول الفصل في أن أسباب النزول رافداً من علوم شجرة العصمة فما كان من أمام المتقين الا أن راح يفصح عن مكنون علمه في سرد علوم القرآن ومنها أسباب النزول بطريقة مباشرة عبر قوله عليه السلام:"سلوني قبل أن تفقدوني، فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لو سألتموني عن أية آية، في ليل أنزلت، أو في نهار أنزلت، مكيها

ومدنيها، سفريها وحضريها، ناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وتأويلها وتنزيلها، إلا أخبرتكم"[34]، وهذا القول فيه تصريح واضح على مصطلح أسباب النزول عبر قول الامام " في ليل أنزلت، أو في نهار أنزلت" وقوله " وتأويلها وتنزيلها" ففي الاولى بيان لأهمية أوقات وأزمان نزول الآيات وفي الثانية بيان لسبب تنزيلها لأن الوظيفة التي أُسندت الى الإمام علي عليه السلام تقتضي أن يبين الإمام عليه السلام للامة المسار الصحيح الذي يجب أن تراعيه في سبر أغوار النص القرآني لاسيما كون علم الامام من العلوم اللّدنية التي لا يمكن أن يخالطها الاجتهاد على أساس أنه المتصدي لمهمة البيان القرآني بعد رسول الله والشارع في هداية الأمة بعد نذيرها استنادا الى قوله تعالى:" **انما انت منذر ولكل قوم هاد**" فالنبي صلى الله عليه وآله هو المنذر والامام امير المؤمنين عليه السلام هو الهادي بعده أي ممثلاً للسلطة الإلهية وفق أُسُسها الصحيحة التي رسمتها له السماء عبر الاعداد النبوي[35]، ثم أن الوقوف على مظان كلامه عليه السلام والتأمل فيه يجد أنه عليه السلام يؤكد وبدقة أكبر على أسباب نزول آيات الذكر الحكيم فهو العالم في زمان نزول الآيات "في ليل أم نهار" ومكان نزولها "في سهل أو في جبل" وهذا يظهر عظمة علوم أمير المؤمنين وسعت اطلاعه كيف لا وهو القائل " هذا ما زقني رسول الله (صلى الله عليه وآله) زقاً زقا"[36] فمن زقه رسول الله بسفط العلم كيف لا يكون عالماً بأسباب النزول وأزمنتها وأمكنتها وكل ما يحيط بفهم النص القرآني من قرائن، ناهيك عن أنه المكمل للوظيفة الإلهية للنبي الكريم صلى الله عليه وآله في بيان حقائق واسرار الكتاب الالهي وهداية الامة الاسلامية والحفاظ على مسارها الإيماني، كونه عِدل الكتاب الكريم ووصي الرسول الامين صلى الله عليه وآله وخليفته في أمته.

ثم إن المطلع على كلام الإمام علي عليه السلام وما جاء فيه بخصوص بيان أسباب النزول يقف على حقيقة ناصعة الا وهي أنه لم يكن عالما بتنزيل القرآن الكريم وحده بل كان عالما حتى بتنزيل الكتب المقدسة، فعن الأصبغ بن نباتة، قال:" لما جلس علي (عليه السلام) في الخلافة وبايعه الناس، خرج إلى المسجد متعمماً بعمامة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، لابساً بردة رسول الله (صلى الله عليه وآله) منتعلاً نعل رسول الله (صلى الله عليه وآله)، متقلداً سيف رسول الله (صلى الله عليه وآله) فصعد المنبر، فجلس عليه متمكناً، ثم شبك بين أصابعه، فوضعها أسفل بطنه، ثم قال: يا معشر الناس، سلوني قبل أن تفقدوني، هذا سفط العلم، هذا لعاب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، هذا ما زقني رسول الله (صلى الله عليه وآله) زقاً زقا، سلوني فإن عندي علم الأولين والآخرين، أما والله لو ثنيت لي وسادة، فجلست عليها، لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم حتى تنطق التوراة فتقول: صدق علي ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله في، وأفتيت أهل الإنجيل بإنجيلهم حتى ينطق الإنجيل فيقول: صدق علي ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله في، وأفتيت أهل القرآن بقرآنهم حتى ينطق القرآن فيقول: صدق علي ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله في، وأنتم تتلون القرآن ليلاً ونهاراً، فهل فيكم أحد يعلم ما نزل فيه؟ ولولا آية في كتاب الله عز وجل لأخبرتكم بما كان وبما يكون، وبما هو كائن إلى يوم القيامة، وهي هذه الآية: ﴿**يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب**﴾[37]، وفي هذا الحديث إشارة الى أن الإمام علي عليه السلام عالماً بنزول التوراة والانجيل فمن كان عالماً بنزول الكتب السماوية السابقة للاسلام فمن باب اولى ان يكون عالماً بأسباب نزول كتاب الاسلام، هذا فضلاً عن ان كلام الامام فيه شهادة تلك الكتب نفسها بعلم الامام بنزولها وأسباب ذلك النزول، وعليه فقد شرع الامام

عليه السلام في بيان هذا العلم وبثه في الحقل العلمي الاسلامي لكي ينتفع به علماء الاسلام ويكون شاهدا على سمو ورفعة علوم الاسلام كونها علوما سماوية ذات مصدرية وحيانية.

وتتوالى الآثار الواردة عن الإمام علي عليه السلام في بيان سبب النزول والإشارة الى أهميته وعلو شأنه بين العلوم الدارسة للكتاب العزيز ففي كتاب بصائر الدرجات: عن الأصبغ بن نباتة قال:" قال: لما قدم علي عليه السلام الكوفة صلى بهم أربعين صباحا فقرأ بهم سبح اسم ربك الاعلى فقال المنافقون: والله ما يحسن أن يقرأ ابن أبي طالب القرآن، ولو أحسن أن يقرأ لقرأ بنا غير هذه السورة، قال: فبلغه ذلك فقال: "ويلهم إني لأعرف ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وفصله من وصله، وحروفه من معانيه، والله ما حرف نزل على محمد رسول الله صلى الله عليه وآله إلا وأنا أعرف فيمن انزل، وفي أي يوم نزل، وفي أي موضع نزل، ويلهم أما يقرؤون " **إن هذا لفي الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى** " وإنها عندي ورثتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وورثها رسول الله صلى الله عليه وآله من إبراهيم وموسى ويلهم والله إني أنا الذي أنزل الله في "وتعيها اذن واعية " فإنا كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فيخبرنا بالوحي فأعيه ويفوتهم فإذا خرجنا قالوا: ماذا قال آنفا"[38] والحق يقال إنّ في هذا الأثر العلوي نكت عدة منها غزارة البيان ودقة العبارة وألم الجهل بعلم الامام عليه السلام، وفي بيان النكت التي جاءت في كلام الامام علي عليه السلام انه قد حسم الجدل في مسألة أسباب النزول عبر تأكيده واستعماله القسم فلا يقسم الا الشخص المتأكد من قسمه لاسيما اذا صدر من شخص معصوم من الخطأ ومنزه عن الكذب، والنكتة الثانية تكمن في دقة الالفاظ والعبارات الصادرة من الامام عليه السلام" والله ما حرف نزل على محمد رسول الله صلى الله عليه وآله إلا وأنا أعرف فيمن انزل، وفي أي يوم نزل، وفي أي موضع نزل" وهنا نقف على الدقة المتوخاة في عبارات الامام عليه السلام فهو لا يصف لنا انه عالم بسبب نزول الآيات فقط ؛ بل إنه أشار الى أنه عالم بنزول كل حرف من حروف القرآن الكريم عبر قوله عليه السلام "كل حرف "ولم يقل كل آية، ومكان نزوله عبر قوله عليه السلام "في اي موضع نزل" وزمن نزوله عبر قوله عليه السلام "في اي يوم نزل" وسبب نزوله عبر قوله عليه السلام "فيمن نزل " ولعل هذا من روائع البيان العلوي ودقائقه في الكشف عن علوم القرآن الكريم ومكنوناته، ومن النكت المؤلمة الواردة في كلامه عليه السلام ايضاً ان القوم كانوا يجهلون مكانة الامام عليه السلام وعلمه حتى وصل بهم الامر الى اتهامه انه لا يعرف من القرآن الا ما كان يتلو وقد تغافلوا انه شاهد التنزيل اولاً بأول وانه كاتب الوحي و ملازم النبي صلى الله عليه وآله وعدل القرآن وجامعه ولكن العقول صدئة والنفوس امارة بالسوء.

ومن الآثار الواردة عن أمير المؤمنين عليه السلام التي تظهر لنا مدى الاعداد النبوي للامام امير المؤمنين وكيفيته في النهوض بمهمة حفظ العلوم النبوية لاسيما علوم القرآن ومنها أسباب النزول ما رواه ثقة الاسلام الكليني علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبان بن أبي عياش، عن سليم بن قيس الهلالي ".... وقد كنت أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله كل يوم دخلة وكل ليلة دخلة فيخليني فيها أدور معه حيث دار، وقد علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري فربما كان في بيتي يأتيني رسول الله صلى الله عليه وآله أكثر ذلك في بيتي وكنت إذا دخلت عليه بعض منازله أخلاني وأقام عني نساءه. فلا يبقى عنده غيري وإذا أتاني للخلوة معي في منزلي لم تقم عني فاطمة

ولا أحد من بني، وكنت إذا سألته أجابني وإذا سكت عنه وفنيت مسائلي ابتدأني، فما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها علي فكتبتها بخطي وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها، ودعا الله أن يعطيني فهمها، وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علما أملاه علي وكتبته، منذ دعا الله لي بما دعا، وما ترك شيئا علمه الله من حلال ولا حرام، ولا أمر ولا نهي كان أو يكون ولا كتاب منزل على أحد قبله من طاعة أو معصية إلا علمنيه وحفظته....."[39]، وهذا الحديث فيه من النكت ما فيه:

النكتة الاولى: فيه دلالة على اهمية اهل البيت عليهم السلام ومكانتهم في الاسلام ؛لان الخلوة اذا كانت في بيت الامام علي عليه السلام لم يخلِ عنه فاطمة عليها السلام والحسنين عليهما السلام اذ كانت الخلوة في بيت النبي صلى الله عليه وآله خلّى عنه نساءه وما هذا الفعل الا دلالة على عظيم مكانة أهل البيت النبوي وشمولهم بعملية الإعداد الرباني.

والنكتة الثانية:ان هناك عناية خاصة بالامام علي عليه السلام دون غيره في تلقي العلوم من النبي صلى الله عليه وآله سواء العلم القرآني او الشرعي او الكوني او غيره من العلوم ففعل النبي صلى الله عليه وآله بالاختلاء بالامام علي عليه السلام لم يفعله مع غيره اي انه لم يختل بأحد الصحابة يومياً كما يفعل مع الامام عليه السلام وبما ان النبي صلى الله عليه وآله لا يفعل شيئاً من تلقاء نفسه وانما هو مأمور بذلك اذا فعملية زق العلم في الامام علي عليه السلام عملية تبنتها الارادة الالهية؟

والنكتة الثالثة: هي الاستدلال على أنّ علم أسباب النزول جاء في البيان العلوي عبر قوله عليه السلام:" فما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها علي فكتبتها بخطي وعلمني تأويلها..."[40] وهنا يظهر عناية الإمام علي عليه السلام وحرصه على إظهار العلوم النبوية للعامة ومنها علم أسباب النزول لتكتمل عليهم الحجة في معرفة العلوم الشرعية التي يجب الرجوع اليها في معرفة معاني واسرار وحقائق النص القرآني.

ولم ينحصر بيان الإمام علي عليه السلام بهذا القدر من الاخبار والروايات التي اهتم بنقلها علماء الامامية بل اهتم ببيان الاخبار والروايات التي تشير الى وجود مصطلح أسباب النزول في كلام الامام علي عليه السلام عند غير الامامية ايضا مدركين حجم العناية النبوية والاعداد الالهي لأهل البيت النبوي عليهم السلام لاسيما رأسهم ورئيسهم الامام علي عليه السلام عبر تتبع هذا المصطلح في أحاديثه وخطبه فمن الروايات الدالة على هذا المصطلح ما رواه الحاكم الحسكاني في شواهده عن الامام عليه السلام انه قال: "سلوني يا أهل الكوفة قبل أن لا تسألوني [كذا] فو الذي نفسي بيده ما نزلت آية إلا وأنا أعلم بها أين نزلت وفيمن نزلت، في سهل أم في جبل أوفي مسير أم في مقام"[41] وفي هذه الرواية اشارة الى وجود مصطلح أسباب النزول وتوقيتاته الزمانية والمكانية عبر قول الامام عليه السلام" أين نزلت وفيمن نزلت، في سهل أم في جبل أوفي مسير أم في مقام" فقد عرف الامام بهذا العلم . أي اسباب النزول . عبر تتبعه الظروف المحيطة بالآية التي يمكن ان نصطلح عليه تسمية حال النزول[42] اي الظروف والاحوال المواكبة لنزول النص القرآني فكثير من الآيات نزلت في مواقف خاصة لذلك اكد الامام عليه السلام على هذه الاحوال فنجد كلامه عليه السلام زاخراً بمثل هذه الأمور فقوله عليه السلام "في سهل أم في جبل " ماهو الا مراعاةً لحال النزول وتأكيدا عليه وقوله عليه السلام" في ليل ام في نهار" من سنخ ذلك ايضاً وقوله عليه السلام "في مسير ام في مقام" يدخل في اطار مراعاة الحال، ولا يخرج عن ذلك قوله عليه السلام" في سفر ام في حضر" ان المتأمل في العبارات التي صدرت من كاتب

الوحي النبوي وترجمانه يقف على مدى اهتمام الامام بعلم اسباب النزول والظروف المحيطة به بل يقف على حرص الامام عليه السلام على إعلام الناس بذلك العلم كي يعطوه من الاهمية ما يتناسب مع مقامه بين العلوم الدارسة للكتاب العزيز.

وفي إطار القراءات القرآنية وافضلية الامام علي عليه السلام نستشف ايضاً ظهور مصطلح أسباب النزول، ففي رواية الحاكم الحسكاني عن تلميذ الامام عليه السلام علي في القراءة أبي عبد الرحمن السلمي قال: "ما رأيت أحدا أقرأ من علي بن أبي طالب، وكان يقول: "سلوني فو الله لا تسألوني عن شئ من كتاب الله إلا أحدثكم بليل نزلت أم بنهار، أو في سهل أو في جبل"[43] وهنا تبين أهمية هذا العلم الجليل في تأكيدات الامام عليه السلام المتتالية على الحث على معرفته كعلم أصيل في تفسير النص القرآني؛ بل وحتى في قراءاته، وكثيرة هي الروايات التي تشير الى أهمية علم أسباب النزول واهتمام الامام علي عليه السلام بهذا العلم فعن ابي سعيد الصيدلاني بسنده الى زيد بن علي عن أبيه: عن جده [الحسين] عن علي عليهم السلام قال:" ما دخل نوم عيني ولا غمض رأسي على عهد محمد صلى الله عليه وآله حتى علمت ذلك اليوم ما نزل به جبرئيل من حلال أو حرام أو سنة أو كتاب أو أمر أو نهي و فيمن نزل"[44]، فكلمات الامام وحرصه على العلم بنزول الآيات واسبابها كفيلة ببيان مدى أهمية هذا العلم فإذا كان امير المؤمنين عليه السلام لا تغمض له عين حتى عَلِمَ بنزول الآيات الكريمة وأسبابها فما بالك بباقي المسلمين فمن باب اولى ان يتعلموا ذلك العلم ويعملوا به ويستفيدوا منه في بيان مظان الكتاب الكريم وظرف نزوله، مما يشير الى ان علم أسباب النزول علم بالغ الاهمية وان الامام علي عليه السلام صاحب قصب السبق فيه هنا اعني المصحف الذي جمعه الامام علي عليه السلام ورتبه حسب النزول ذاكراً فيه سبب نزوله وكل العلوم التي تعلمها من رسول الله صلى الله عليه وآله مما يعطي اهمية كبيرة لهذه المسألة.

المطلب الثاني: دور التأكيدات في تصحيح المسار التاريخي لعلوم القرآن

إن معرفة أسباب النزول من الاهمية بمكان فهي تجعل المفسر يقف على الحقائق القرآنية كما هي، بل يمكن عَدّهُ قرينة لا غنى عنها في معرفة المراد من النص القرآني، وعليه لابد من ذكر دور تأكيدات الامام على علم أسباب النزول وأثرها في تصحيح المسار التاريخي:

اولاً: لقد ساعدت تأكيدات الامام عليه السلام على فهم الآية القرآنية فهماً دقيقاً وليس فهما ظاهريا للنص كما كان مخططا له ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا** ﴾[45]، وهنا نجد ان الآية قد نفت الاثم والحرمة ولم تصرح بالوجوب هذا بحسب الفهم الظاهري، وبالعودة الى سبب النزول نجد أن بعض الصحابة تحرج من الطواف بين الصفا والمروة لكونهما من عادات الجاهلية فنزلت الآية الكريمة[46]، وبهذا يكون سبب النزول هو الفيصل في اعطاء الفهم الدقيق للأية، لذلك حينما اصدر الامام عليه السلام جملة التأكيدات على هذا العلم لم تأتِ من فراغ بل إنما جاءت لتصحيح الفهم الخاطئ حول أسباب النزول.

ثانيا: ان التأكيدات التي صدرت من الامام في الرجوع الى سبب النزول كان لها دور كبير في تصويب فهم النص بحيث يسهم في تحديد مصداق الآية بدقة فكثير من الآيات نازلة في شخصيات معينة بينما كتب التفسير

تذكر لها اسبابا اخر كقوله تعالى:﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾[47]، ذهب بعض المفسرين أنها نزلت بعد إتمام الاحكام اي إكمال الحلال والحرام وهذا ما يفهم من السياق ايضا؛ لأنها جاءت بعد ذكر حلية اللحوم والذبائح، الا أن سبب النزول يبين أنها نازلة في حق الامام علي عليه السلام[48]، وهنا تكمن أهمية التأكيد الصادر عن الامام عليه السلام على سبب النزول، لأنه يساعد على معرفة الاشخاص الذي نزل النص بحقهم.

ثالثا: أسهمت تأكيدات الامام علي عليه السلام في الرجوع الى سبب النزول في اكتشاف علة التشريع أو وجه التشريع فكثير من الآيات الكريمة نزلت حاملة لأحكام شرعية كآية الإرث او آية الكلالة أو غيرها يعمل بها المكلفين دون معرفة العلة التي استوجبت مثل هذا التشريع وسبب النزول يكشف لنا ذلك فمثلاً اية المواريث الواردة في قوله تعالى:﴿ **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ....**﴾[49] يكشف لنا سبب النزول انه جاء معالجا لحالة كانت متعارف عليها في الجاهلية هي أن الإرث لمن حمل السيف ودافع عن شرف القبيلة وبما ان المرأة لا تتمكن من حمل السيف وهي حالة وقعت مع إحدى الصحابيات فشكت ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وآله فنزلت الاية[50]، وهنا يأتي دور التأكيدات العلوية التي لولاها ما تمكنا من معرفة علة التشريع.

رابعا: من أبرز جوانب التأكيدات العلوية هي كشف بعض اسماء من نزل فيهم النص للدلالة على مكانتهم فمثلا نزل في الامام امير المؤمنين آيات كثير نافت على ثلاث مائة آية كلها مادحة ودالة على مكانة أمير المؤمنين عليه السلام ، في حين ان هناك آيات أخر كشفت عن أسماء لشخصيات نزل بها النص القرآني معاتباً تارة وموبخاً تارة اخرى وعدم الرجوع الى سبب النزول يجعل فهم النص ناقصاً لذلك صدرت عدة تأكيدات من الامام امير المؤمنين عليه السلام في عدم إهمال سبب النزول.

الخاتمة

بعد ختام المسير في رحاب علوم أمير المؤمنين علي عليه السلام لاسيما أسباب النزول يصل البحث الى جملة من النتائج نذكرها على النحو الاتي:

أولا: لقد ارسى الامام علي عليه السلام اسس وقواعد علم اسباب النزول وهذا عبر تأكيداته المتتالية على الرجوع اليه وحث المسلمين في التمسك به وهذا واضح من عباراته الشريفة الداعية الى هذا العلم واخذه في فهم وتفسير النص القرآني وهذا ما لا نجده عند غيره وبهذا حاز امير المؤمنين علي عليه السلام قصب السبق في بيان علوم الكتاب العزيز ومنها أسباب النزول.

ثانيا: لقد كان لتأكيدات الامام علي عليه السلام في الرجوع الى علم اسباب النزول والتمسك به دورا كبيرا في تصحيح كثير من الحقائق القرآنية التي تجاهلها اصحاب التفسير.

ثالثا: إن تأكيد الامام علي عليه السلام على بيان علوم القرآن ومنها سبب النزول وتصريحاته المنكرة في غير موضع، فيه دلالة كبيرة على ان الامام عليه السلام هو صاحب الوظيفة الالهية بعد النبي صلى الله عليه وآله مما جعله ينهض بأعباء هذه المهمة شارعاً في بيان علوم الكتاب الكريم ومبيناً للقرائن التي يجب أن تراعى في تفسير القرآن الكريم التي من أهمها اسباب النزول.

رابعاً: يفهم من تأكيدات وبيان الامام علي ﷺلسبب النزول ان جهاده ﷺلم يكن جهاد حرب فقط؛ بل هو جهاد علم ومعرفة في آن واحد، وان صيانة الامة فكريا هي مهمة خطيرة جدا لا تقل خطورة عن صيانة الامة أمنيا.

الهوامش:

(1) ينظر: العين، الخليل بن احمد الفراهيدي، دار الهجرة، قم . ايران، ط1، 1409هـ،، 203/7. ينظر: اساس البلاغة: الزمخشري، دار صادر، بيروت . لبنان،ط1، 1979م، 281. وينظر: التحقيق في كلمات القران الكريم: حسن مصطفوي، مر كز نشر اثار العلامة المصطفوي، طهران بلا ،. ط، بلا. ت، 391.

(2)

(3) ينظر: مفردات الفاظ القرآن: الراغب الاصفهاني، دار القلم الشامية، دمشق، ط1، 1412هـ، 799.

(4) المصدر نفسه، 480/5

(5) مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط3، بلا. ط، بلا.ت، 106/1.

(6) علوم القرآن: محمد باقر الحكيم، مجمع الفكر الاسلامي، قم، ط3، 1417هـ، 38.

(7) اسباب النزول القرآني: غازي حسين عناية، دار الجيل، بيروت . لبنان، ط1، 1411هـ، 13.

(8): اسباب النزول القرآني تاريخ وحقائق:حسن حيدر، المركز العالمي للدراسات الاسلامية – قم – ايران1427هـ، 25،27.

(9): اسباب النزول القرآني تاريخ وحقائق:حسن حيدر،، 25،27.

(10) سورة الحاقة: الآية، 12.

(11) تفسير العيّاشي: محمد بن مسعود العياشي، تحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاتي، مكتبة الشيعة الالكترونية، بلا. ط، بلا. ت، 14/1.

(12) البرهان في تفسير القرآن: السيد هاشم البحراني، مؤسسة البعثة، قم،، 93/3.

(13) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن مرتضى الزبيدي، دار الفكر بيروت،ط1، 1414هـ، 252/4.

(14) سورة السجدة:الآية، 18.

(15) الأمالي: الطوسي،2 / 159.

(16) تفسير العيّاشي، 2 /142، 143.

(17) ينظر: بحار الانوار: العلامة المجلسي، ج94،21.

(18) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، مكتبة الشيعة الالكترونية، طبعة منقحة، بلا. ت.، 246/6.

(19) كشف الغمة: الأربلي، 1 /321.

(20) أمالي الطوسي، 2 /159.

(21) ينظر: اسباب النزول تاريخ وحقائق: حسن حيدر، 29.

(22) تفسير العيّاشي، 1 /14.

(23) تفسير العيّاشي،17.

(24) ينظر:الامالي: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق، تحقيق قسم الدراسات الاسلامية، مؤسسة البعثة، قم، ط1، 1417هـ، 350. وينظر: الأمالي: محمد بن الحسن الطوسي،تحقيق قسم الدراسات الاسلامية، مؤسسة البعثة، قم،ط1،

1414هـ.، 170. ينظر: 30. مناقب ال ابي طالب: محمد بن علي بن شهرآشوب المازندراني، الناشر علامة، قم، ط1421،1هـ، 1 /32. ينظر: تأسيس الشيعة: حسين الصدر 318.

(25) سورة الزخرف: الايتان، 79. 80.

(26) بحار الانوار: المجلسي، 36/ 157

(27)سورة الزخرف اية 58.

(28) بحار الانوار: العلامة المجلسي،314/35.

(29) نهج البلاغة: الشريف الرضي، تحقيق محمد عبدة، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت . لبنان، بلا.ط، بلا.ت، 157/2.

(30) الطبقات الكبرى: محمد بن سعد الهاشمي، مكتبة الشيعية الالكترونية، 338/2.و بحار الانوار: العلامة المجلسي، 40/ 157.

(31) تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام: السيد حسين الصدر، شركة النشر العراقية، بلا. ط، بلا. ت، 318.

(2) شواهد التنزيل: الحاكم الحسكاني،1 /280.

(32) الاحتجاج: ابو الفضل الحسن بن علي الطبرسي، تحقيق، محمد باقر الخرسان، مطبعة النعمان، النجف الاشرف، 1966م،1/ 223.

(33) غاية المرام وحجة الخصام: هاشم البحراني، تحقيق، علي عاشور، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة،ط1، 1422هـ، 67.

(34) الامالي: الصدوق، 423.

(35) الميزان: الطباطبائي، 11/ 328.وينظر: من وحي القرآ ن: محمد حسين فضل الله، 13/ 23.

(36) بحار الانوار: العلامة المجلسي، 118/10.

(37) الامالي: الصدوق، 422. 423.

(38) بحار الانوار: المجلسي، 87/89.

(39) الكافي: أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، دار الكتب الاسلامية، طهران، ط3، 1388هـ، 64/1.

(40) بحار الأنوار: العلامة المجلسي،ج 89،99

(41) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم: عبيد الله بن أحمد الحذاء الحنفي النيسابوري(الحاكم الحسكاني)، تحقيق وتعليق محمد باقر المحمودي، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والارشاد الاسلامي مجمع أحياء الثقافة الاسلامية، طهران، ط1، 1990م، 40/1

(42) الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، ج1، 31.

(43)شواهد التنزيل: الحاكم الحسكاني، 1/ 42.

(44) شواهد التنزيل: الحاكم الحسكاني، 43/1.

(45) سورة البقرة:الاية، 158.

(46) ينظر: علوم القرآن: الحكيم، 45.

(47) سورة التوبة: الاية، 119.

(48) الميزان في تفسير القران: محمد حسين الطباطبائي، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم . ايران، بلا. ط، بلا. ت، 5/ 196.

(49) سورة النساء: الآية، 11.

(50) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير،225/2.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

1. الاحتجاج: ابو الفضل الحسن بن علي الطبرسي، تحقيق محمد باقر الخرسان، مطبعة النعمان، النجف، 1966م.
2. ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم: محمد بن محمد بن مصطفى ابي السعود العمادي، دار احياء التراث العربي، بيروت . لبنان.
3. اساس البلاغة: محمد بن عمر بن محمود الزمخشري، دار صادر، بيروت . لبنان،ط1، 1979م.
4. اسباب النزول القرآني: غازي حسين عناية، دار الجيل، بيروت . لبنان، ط1411،1هـ.
5. الأمالي: محمد بن الحسن الطوسي،تحقيق قسم الدراسات الاسلامية، مؤسسة البعثة، قم،ط1، 1414هـ.
6. الامالي: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق، تحقيق قسم الدراسات الاسلامية، مؤسسة البعثة، قم، ط1، 1417هـ.
7. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، مكتبة الشيعة الالكترونية، طبعة منقحة، بلا. ت.
8. الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394 هـ/ 1974 م
9. بحار الانوار الجامع لدرر اخبار الائمة الاطهار: محمد باقر المجلسي،مكتبة بحار الشيعة الالكترونية، ط2، 1983م.
10. تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن مرتضى الزبيدي، دار الفكر بيروت،ط1، 1414هـ..
11. تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام: السيد حسين الصدر، شركة النشر العراقية، بلا. ط، بلا. ت.
12. التحقيق في كلمات القران الكريم: حسن مصطفوي، مر كز نشر اثار العلامة المصطفوي، طهران بلا ،. ط، بلا. ت.
13. تفسير العيّاشي: محمد بن مسعود العياشي، تحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاتي، مكتبة الشيعة الالكترونية، بلا.ط، بلا.ت.
14. تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، تحقيق سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر، الرياض،ط2، 1999م.
15. تفسير القمي: علي بن ابراهيم القمي صححه وعلق عليه وقدم له طيب الموسوي الجزائري، مكتبة الهدى،مطبعة النجف 1387 هـ.
16. تفسير روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، دار الفكر، بيروت، بلا. ط، بلا. ت.
17. جامع البيان في تأويل اي القرآن: محمد بن جرير الطبري، تحقيق احمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت .

لبنان، ط1، 2000م.
18. الجامع لأحكام القرآن: محمد بن احمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964م
19. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم: عبيد الله بن أحمد الحذاء الحنفي النيسابوري(الحاكم الحسكاني)، تحقيق وتعليق محمد باقر المحمودي، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والارشاد الاسلامي مجمع أحياء الثقافة الاسلامية، طهران، ط1، 1990م.
20. الطبقات الكبرى: محمد بن سعد الهاشمي، مكتبة الشيعية الالكترونية.
21. علوم القرآن: محمد باقر الحكيم، مجمع الفكر الاسلامي، قم، ط3، 1417هـ.
22. العين، الخليل بن احمد الفراهيدي، دار الهجرة، قم . ايران، ط1، 1409هـ.
23. غاية المرام وحجة الخصام: هاشم البحراني، تحقيق، علي عاشور، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة،ط1، 1422هـ.
24. الكافي: أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، دار الكتب الاسلامية، طهران، ط3، 1388هـ.
25. كتاب الماء: عبد الله بن محمد الازدي، مركز ابحات تاريخ الطب والطب الاسلامي، ايران، ط1، 1429هـ.
26. كشف الغمة في معرفة الائمة:ابي الحسن علي بن عيسى بن ابي الفتح الأربلي، دارالاضواء، بيروت . لبنان، بلا. ط، بلا. ت.
27. مجمع البحرين: فخر الدين بن محمد الطريحي، المرتضوي، طهران . ايران،ط3، 1471هـ.
28. مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: حسين بن محمد تقي النوري، مؤسسة ال البيت عليهم السلام، قم، ط1، 1978م.
29. معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي): ابو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق محمد عبد الله النمر واخرون، دار طيبة، الرياض،ط4، 1417هـ.
30. مفردات الفاظ القرآن: الراغب الاصفهاني، دار القلم الشامية، دمشق، ط1، 1412هـ، 799.
31. مناقب ال ابي طالب: محمد بن علي بن شهرآشوب المازندراني، الناشرعلامة، قم، ط1421،1هـ.
32. مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط3، بلا.ط، بلا.ت.
33. الميزان في تفسير القران: محمد حسين الطباطبائي، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم . ايران، بلا. ط، بلا. ت.
34. نهج البلاغة: الشريف الرضي، تحقيق محمد عبدة، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت . لبنان، بلا.ط، بلا.ت.